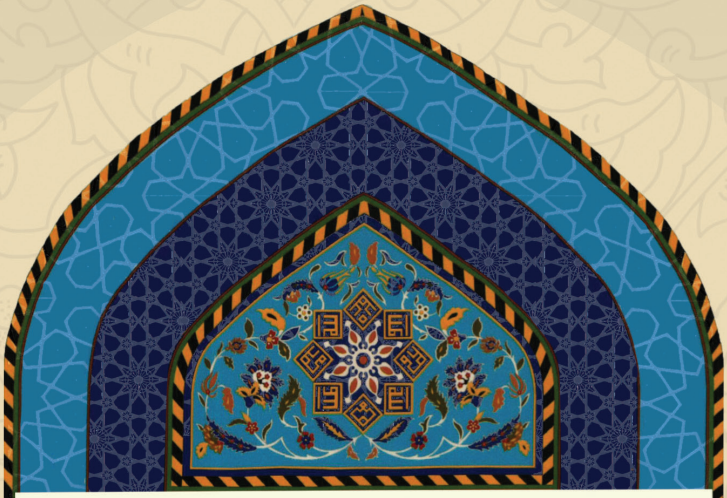

الملامح العامة للمنهج النقدي
عند الشيخ المفيد العكبري

General Features of Critical Approach of
Sheikh Al-Mufid Al-Akbary

أ.م.د. ثائر عباس النصراوي

جامعة الكوفة

كلية الاداب

Asst. Prof. Dr. Thaer Abbas Al-Nasrawy

University of Kufa

College of Arts

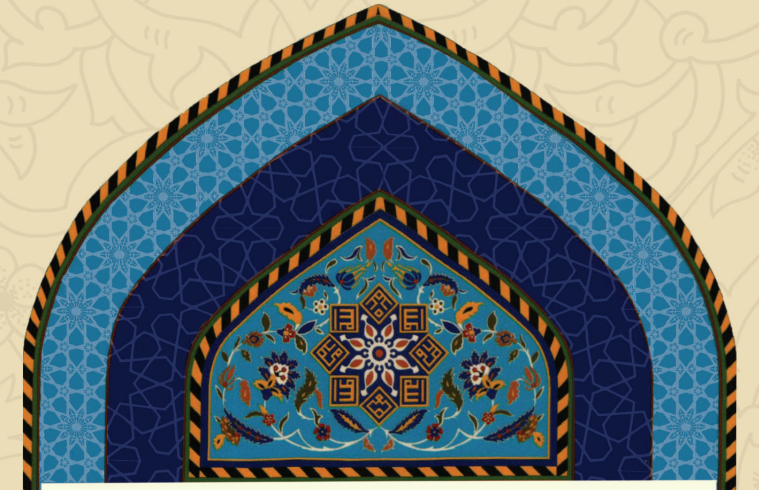

الملامح العامة للمنهج النقدي عند الشيخ المفيدالعكبري

الملخص:

إن الشيخ المفيد قد اختلف مع السابقين حول بعض الآراء والمعتقدات التي توصلوا إليها أو حول المنهج الذي ساروا عليه، وان هذا الاختلاف لم يمنعه من تقدير هذا الرأي أو ذاك، وهذا ما حاولنا بيانه في هذا البحث الذي جاء على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة بالمصادر، ففي المقدمة أوضحنا حدود البحث من خلال استعراض مباحثه، والتمهيد خصّص للتعريف بمعنى المنهج من حيث اللغة والاصطلاح وكذلك التعريف بالمنهج النقدي، والمبحث الأول جاء بعنوان المرجعية الشيعية للشيخ المفيد وصلتها بالدولة البويهية، إذ بيّنا ثلاثة أبعاد مهمة أثرت في تشكيل فكر الشيخ المفيد، عموماً والمنهج النقدي خصوصاً، أما البحث الثاني فقد أسميناه المنهج التكاملي عند الشيخ المفيد استعرضنا فيه الأسس العامة لمنهجه بشكل عام وخصوصاً في تشكيل العقيدة، أما المبحث الثالث فقد جاء تحت عنوان أسس المنهج النقدي عند الشيخ المفيد، وهو لبّ البحث وأساسه، إذ استعرضنا أسس منهجه النقدي على بعدين هما :

الأول: المتعلق بالمناهج والتيارات الكلامية الإسلامية الأخرى وخصوصاً المعتزلة، الثاني: نقد المناهج الكلامية والمتمثلة بأصحاب الحديث من الشيعة الإمامية، وخير ممثل لهم الشيخ الصدوق، وأخيراً النتائج، وبعدها قائمة بمصادر البحث.

الكلمات المفتاحية:

الشيخ المفيد، المكونات الفكرية، المنهج التكاملي، المنهج النقدي.

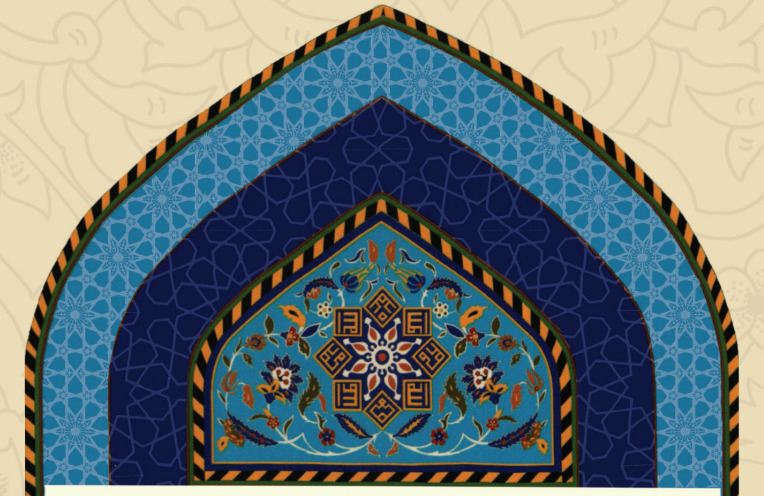

General Features of Critical Approach of Sheikh Al-Mufid Al-Akbary

Abstract:

Sheikh Al-Mufid has disagreed with the previous scholars regarding some beliefs and views they have concluded or the approach they adopted. But this disagreement does not appreciate this view or that one. The study includes an introduction, a preface, three sections, a conclusion, and a life of references. The introduction shows the study limits through its sections. The preface reveals the meaning of the approach lexically and contextually in addition to define the critical approach. The first section is entitled Al-sheikh Al-Mufid shia authority and its relationship to Buyid state. The researcher has shown three important dimensions that affect sheikh Al-Mufid's thought especially his critical approach. The second section is entitled sheikh Al-Mufid's integrated approach in which the researcher shows the general foundations of Al-Mufid's approach especially the issue of establishing the belief. The third section is entitled the basics of critical approach of sheikh Al-Mufid, which is the core of the study. The critical approach is viewed based on two dimensions:

The first: is related to approaches and other Islamic speech currents, Al-Muʿtazila in particular. The second is to criticize the speech approaches represented by the owners of hadith from imamate shia, and the best represented them is sheikh Al-Sadoq, Finally, the study results, and the list of references.

key words:

sheikh Al-Mufid, intellectual components, and the integrated approach, critical approach.

المقدمة

لا يخفى على أحد أن الإنسان إذا أراد أن يقدم لنا فكراً في مجال تخصصه، فإن هذا الفكر لابد أن يقوم على أساس النقد لا مجرد المتابعة لآراء الآخرين، فلو كان هذا الإنسان متابعاً لآراء الآخرين مقلداً لهم لما سمي مفكراً، لأنه لم يُعمل الفكر ويوظفه في مجال اختصاصه.

من هذا المنطلق نجد أن النقد يعبر عن الحركة لا السكون، ومعبراً كذلك عن التجديد لا التقليد، ومعبراً عن الثورة لا الجمود، وهذا حال العلماء والمفكرين والفلاسفة الذين تميزوا بالحس النقدي، فقد احتلوا مكانة كبيرة في تاريخ الفكر الإنساني وعلى مختلف المجالات والتخصصات.

ومن أبرز هؤلاء الشيخ المفيد العكبري الذي نقد أكثر الاتجاهات التي سبقته وخصوصاً الكلامية[1] فإن منهجه هذا شكل مذهبه بشكل عام، وجاء هذا الأخير ليعبر عن فكره ومختلفاً عن فكر الآخرين، وهذا ما يسمى الابداع في العلوم، والابداع يقوم على الذاتية، وعلى النقد الموضوعي البناء، وعلى التفكير الحر المستقل المبني على المسلّمات الأولية الصحيحة سواءً العقلية أو النقلية ومحاولة التوفيق بينهما وفق ضوابط محددة، وواضح أن هذه الجوانب كلها تتنافى تماماً مع التقليد، إذ المقلّد يتلاشى فكره في فكر الآخرين؛ لأنه لا يختلف عن فكر الذين أخذ عنهم.

وإذا كان الشيخ قد اختلف مع السابقين حول بعض الآراء والمعتقدات التي توصلوا إليها أو حول المنهج الذي ساروا عليه، فإن الاختلاف معهم سواء من جهة الآراء أو من جهة المنهج، لم يمنع من تقديره هذا الراي أو ذاك من الآراء التي قال بها السابقون اذا وجدها لا تتعارض مع ما التزم به من منهج ارتضاه لنفسه، فهو لم يعارض وينقد الآراء السابقة لمجرد المعارضة.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

أ.م.د. ثائر عباس النصراوي

التمهيد

تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح

أولاً: المنهج في اللغة:

المنهج من النهج وهو الطريق، وطريق نهج أي بَين واضح[١]. والمنهج بوزن المذهب[٢] والمنهاج الطريق الواضح، ونهج الطريق أبانه وأوضحه، ونهجه أيضاً سلكه[٣]. وهذا المعنى لكلمة المنهج نجده في مضمون الآية الكريمة ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (سورة الإنعام / ٤٨). والمنهج هو ترجمة للكلمة الإنكليزية (the mthode)[٤]. وكانت عند اليونان بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة[٥].

ثانياً: المنهج في الاصطلاح:

لم يأخذ المنهج مفهومه الحالي إلا في بداية العصر الحديث، فكان عند أرسطوطاليس تاتي بمعنى صناعة نظرية تعرفنا الحد الصحيح الذي يسمى بالحقيقة حداً وأي القياسات برهاناً[٦] اي إتباع قواعد المنطق الصوري Tr'[٧].

وفي الفلسفة الحديثة فقد ورد هذا المعنى عن بيكون (١٦٢٦م) ، وذلك في كتابه (الأورغانون الجديد)[٨]. وكذلك ما جاء عن ديكارت (١٦٥٠م) برؤيته الجديدة للمنهج تمثلت (بأنه الترتيب الصحيح والإحصاء الدقيق لجميع ظروف الشيء المبحوث عنه)[٩]، وما ورد عن أسبينوزا (١٦٧٧م) في رسالته (في إصلاح الذهن)، كما نشر فلاسفة (بول رويال) منطقهم المسمى (فن التفكير)، وما نشر مالنرانش(١٧١٥م) في كتابه (البحث عن الحقيقة)، وكتب ليبنز (١٧١٦م) مصنفاً من عدة رسائل نجد في عنوان بعضها (المنهج)[١٠]. أما في الفكر العربي فهناك

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١٢، ص١٤٣.

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص٦٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٨١.

(٤) الطاهر، علي جواد، منهج البحث الأدبي، ص١٩.

(٥) بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، ص٣.

(٦) النشار، علي سامي، المنطق الصوري، ص٥.

(٧) المصدر نفسه، ص٥.

(٨) بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، ص٤.

(٩) ديكارت، رينيه، مقالة الطريق لحسن قيادة العقل للبحث عن الحقيقة، ص١١.

(١٠) الطاهر، علي جواد، منهج البحث الأدبي،

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

من يرى المنهج (هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة والعلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدر عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة)[١]. ويرى اخرون إن المنهج في أبسط وأشمل تعريف له بأنه (طريقة يصل بها الإنسان إلى الحقيقة)[٢].

ومن مجموع هذه التعريفات يكون القاسم المشترك الذي يجمع بينها في حدها للمنهج يتمثل في نقطتين هما[٣]:

استحضار المعنى اللغوي الذي يعني المنهج الطريق المستقيم الواضح. أو النظام الذي يربط بين العلاقات أو الأشياء المختلفة للوصول إلى غاية هي تحصيل المعرفة الصحيحة.

ومن هنا يمكننا تحديد معنى المنهج بأنه المعرفة الصحيحة التي يمكن استنتاجها عن طريق إتباع خطوات محددة توصلنا إليها.

وهناك من يرى بانه يوجد وعين من المنهج الأول يكون بطريقة غير تأملية اي يكون نوعاً من السير الطبيعي للعقل لم تحدد أصوله سابقاً، فالإنسان في تفكيره ينظم أفكاره ويرتبها فيما بينها حتى يصل إلى المطلوب بأفضل الطرق، وهذا يسمى المنهج التلقائي[٤].

وان المتأمل في المنهج الذي سرنا علية في تحصيلنا لمعارفنا العلمية وكونا من هذا التأمل طائفة من القواعد العامة الكلية التي تخضع لها في المستقبل طرائق بحثنا فإن هذا منهجاً تأملياً[٥]. وهذا هو النوع الثاني للمنهج وهو ينقسم بدوره على قسمين: [٦]

١- المناهج العامة : وهي القواعد المنهجية العامة التي يرجع إليها عند البحث في أي حقل من حقول المعرفة، أو نوع من أنواع المعرفة.

وهذه بدورها تنقسم على أقسام[٧]:

المنهج النقلي.

المنهج العقلي.

ص١٩.

(١) بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، ص٥.

(٢) الطاهر، علي جواد، منهج البحث الأدبي، ص١٩.

(٣) الأعرجي، ستار، منهج المتكلمين في فهم النص القرآن، ص٣.

(٤) بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، ص٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٥.

(٦) الفضلي، عبد الهادي، أصول البحث، ص٥١.

(٧) المصدر نفسه، ص٥٢.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

المنهج التجريبي.

المنهج الوجداني.

المنهج التكاملي.

المنهج المقارن.

المنهج الجدلي.

المنهج النقدي. وغيرها.

ب- المناهج الخاصة :هي مجموعة من القواعد وضعت لتستخدم في حقل خاص من حقول المعرفة أو علم خاص من العلوم. مثل منهج أصول الفقه أو منهج الفقه وغيرها.

وقد تعددت المناهج بحيث يصعب على الباحث حصرها أو الإلمام بها؛ لأنها دائماً في تطور وعدم ثبات، فكل من يأتي له منهجه الخاص ولكل علم مناهجه الخاصة وهذه الكثرة والتعدد هي التي سببت هذه الصعوبة. ولكننا نكتفي بما ذكرنا أعلاه.

ثالثاً: المنهج النقدي:

بعد الاستعراض العام للمنهج في اللغة والاصطلاح وتعداد أنواع المناهج نأتي الآن إلى موضوع بحثنا وهو المنهج النقدي، إذ إننا نلاحظ أنه لا يوجد تعريف شامل لهذا المنهج بصورة تامة بسبب إن هذا المنهج لم يظهر بصورة مستقلة إلا عند الفيلسوف كانت ١٨٠٤ م -وإن وجدت له جذور تمتد إلى بدايات ظهور الفلسفة بشكل عام ـ وعلى ذلك فالنقد أداة لإظهار الحقائق واضحة جلية، وفي النقد الصحيح تهذيب للأفكار وتنوير للعقول. والنقد الحق يرتكز على سرد المحاسن والعيوب بلا محاباة، وقد يذهب بصاحبه إلى التوفيق بين الآراء المختلفة، وعلى هذا فالنقد هو أساس التقدم العلمي والتقني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي... إلخ، إذ إنه ـ أي النقد ـ يعد الخطوة الأولى للعقل إزاء رفض شيء ما بهدف تعديله أو إلغائه[1]. والنقد تقليد فلسفي ومنطقي قديم فمعظم النظريات الفلسفية والمنطقية جاءت مستندة إلى نظريات نقدية، فالناقد هو الشخص الماهر في تكوين الأحكام عن شيء ما وخصوصاً في الأعمال الفكرية، بل يمكن أن ينسحب على كافة الأعمال والأنشطة، بل هو عامل التقدم الأساس.

ومن كل هذا نستنتج أن النقد يحدد الحقائق الكاذبة من الصادقة في الموضوع المبحوث أولاً. وثانياً فإن غاية الاتجاه النقدي هو يحدد لنا ماذا يقع علينا بعد نقد الأفكار السابقة. وثالثاً فإن المجال

(١) الجالي، زكريا منشاوي، منهج البحث النقدي، ص١٨٥ـ١٨٦.

النقدي لا يتحدد بالفلسفة فقط، بل يمتد ليشمل نقد العقيدة والاجتماع والاقتصاد والسياسة ونقدنا للأفكار السلطوية والإيديولوجية الواردة في مجال معين وإلى غيرها من المجالات.

المبحث الأول

المرجعية الشيعية للشيخ المفيد وصلتها بالدولة البويهية

أصبحت بغداد بعد دخول البويهيين لها عام (٣٣٤هـ) مركزاً للتشيع، بل وإن الشيعة في عهدهم قد تكاثروا وأصبحت لهم أماكن كثيرة للسكنى، ولكن كان الأغلب منهم يقطنون الكرخ فعندما قوي نفوذ الدولة البويهية واستولت على أزمة الأمور قوي أمر الشيعة[١] فنعموا بالأمن والأمان والازدهار، لكن البويهيين «وبالرغم من تشيعهم المذهبي لم يفكروا بمشروع سياسي شيعي»[٢] وكذلك فان فقهاء الشيعة الإمامية واصلوا سياسة الصمت تجاه الخلافة السنية وسياسة المصالحة مع السلطة البويهية ذات الميول العقائدية الشيعية دون أن يتعرضوا لقضية شرعية هذه السلطة[٣].

ولكن يلحظ أن الشريف المرتضى وأخاه الرضي كانوا أكثر جرأة في التعبير عن هذه العلاقة الدينية السياسية، فنجد للشريف المرتضى رسالة بعنوان (مسألة في العمل مع السلطات)[٤] ألّفها سنة (٤١٥هـ لاحد الوزراء أظهر فيها موقفه الصريح من الحكم البويهي، وهو وإن كان يرى شرعية التولي وجوازه، إلا أنّ ذلك كان مرتهناً بمسائل دينية ومذهبية بحت اذ سعى من خلالها إلى إعادة البناء المذهبي قدر المستطاع للشيعة في علاقتها مع السلطة [٥].

اما الشريف الرضي فقد حاول تطبيق هذه العلاقة مع السلطات سواء على مستوى الخلافة أو على مستوى الإمارة البويهية وذلك من خلال امتيازه بالكفاءة للنقابة فهو لرعاية المظالم أولى بالكفاءة،

(١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، أوائل المقالات، ص١٥٩.

(٢) القزويني، جودت، الشيخ المفيد رائد الاجتهاد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ص١٩٨.

(٣) رسول، فاضل، الدين والدولة وصراعات الشرعية، ص٥١.

(٤) طبعت هذه الرسالة في المجموعة الثانية من رسائل الشريف المرتضى في قم، ١٩٨٥م، ص٨٩.

(٥) ينظر: القزويني، جودت، الشيخ المفيد رائد الاجتهاد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ص١٩٩.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

لعفته وصحة وجدانه، مع علمه وفضله، وقد تولاها سنة ٣٨٨ هـ، هي والنقابة وإمارة الحج[١].

واستمر هذا الأمر مع الشيخ الطوسي الذي منح كرسي الكلام الذي كان مقتصراً على علماء السنة بمختلف انتماءاتهم المذهبية على مختلف الأزمان، وهذا الكرسي لا يمنح إلا من قبل السلطة الحاكمة آنذاك[٢]، إذ منح الخليفة هذا الكرسي لمتكلم إمامي لأول مرة في التاريخ، وهذا الأمر له دلالتين:[٣]

١- مدى التقارب الحاصل بين علماء الإمامية والسلطة آنذاك.

٢- وصول الفكر الإمامي متمثلاً بعلمائه إلى مرتبة عليا مما أدى إلى الاعتراف به رسمياً.

وهذا الأمر ـ أي العلاقة مع السلطة ـ أول من ابتدأها هو الشيخ الصدوق وفي بغداد كانت للشيخ المفيد علاقة مع البويهيين لكن بشكل بسيط وليس بالوضوح الذي نجده عند الشريفين الرضي والمرتضى مثلاً، وهذا ما سنلحظه من خلال دراستنا

أولاً: المكونات الفكرية للشيخ المفيد:

كان الشيخ يريد يستنجد بالحجة والدليل في كل ما يذهب إليه، ويؤمن به، يتعامل مع القضايا التي تواجهه على هذا الأساس، فقد كان من الطبيعي أن يعمل على تثقيف نفسه بمختلف المعارف الإسلامية، وأن يسبر أغوار العلوم الإسلامية على اختلافها، حتى ليقال:

(إنه كان مُدياً للمطالعة والتعليم، ومن أحفظ الناس[٤]، بل قيل إنه ما ترك للمخالفين كتاباً إلا حفظه، وبهذا قدر على حلّ شبه القوم[٥]، والرد عليهم ونقدهم وإفحامهم بأي وسيلة ممكنة.

وكان همّه أن يثقف نفسه بما قدر عليه من العلوم التي كانت متداولة في عصره، وأهمها الكلام والفقه وأصوله والتفسير والحديث والسيرة والتاريخ

(١) الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى، حقائق التأويل في متشابه التنزيل، ص٨١-٨٢.

(٢) ينظر: الحكيم، حسن عيسى، الشيخ الطوسي، ص٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٩.

(٤) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٤٤.

(٥) المصدر نفسه.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

وغيرها من العلوم الاخرى، إذ كان يتتبعها، ويمارسها، حتى أصبحت لديه حصيلة علمية إسلامية واسعة، تمتاز بالدقة والعمق والشمولية

وأن حساسية القضايا التي عالجها الشيخ والاحتكاك مع الآخر ـ سواء الموالف أو المخالف ـ قد أسهما في تعميق جذور ثقافة هذا الرجل، وأوسعا من آفاقها، حينما وجد نفسه ينفتح بصورة طبيعية على فكر الآخرين، وعلى ثقافاتهم، وعلى عقلياتهم، دون أن يجد حرجاً أو يحس ضعفاً، أو يوجس في نفسه أدنى خيفة أو تردد، إذ كان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية[١].

فلا غرو بعد هذا إذا وجدناه الفقيه المدقق، والمؤرخ المحقق، والكلامي المحلق، ثم كان المناظر البارع والمنصف، إلى جانب كونه رجالياً، محدثاً، عالماً بالتفسير، وعلوم القرآن، وأصول الفقه، وغير ذلك من علوم إسلامية كانت متداولة في عصره، مارسها ونهل من معينها الصافي، حتى أصبح العالم الفذ، الذي رحبت آفاقه، وتعمقت نظرته، ودقت ملاحظته، بل لا نجازف إذا قلنا: إنه قد سبق عصره بأشواط ومراحل كبيرة وكثيرة. حتى قال عنه البعض (كان أوحد في جميع فنون العلم: الأصلين ـ أي علم الكلام وأصول الفقه، والفقه، والأخبار، ومعرفة الرجال، والتفسير، والنحو، والشعر[٢]، ووصفوه أيضاً بأنه (رئيس الكلام والفقه والجدل[٣].

لذا فإنه حينما أثار بعض الأمور الحساسة، فإنما أثارها بالطريقة العلمية والموضوعية، كما أنه حين تعامل مع المسائل التي طرحت عليه على سبيل الاستدراج والاستفزاز ـ أحياناً ـ، لم يخرج عن وقاره، ولا صدر منه ما يمكن أن يعتبر خروجاً عن نهجه الذي ارتضاه لنفسه، والتزم به في حياته العلمية وفي تعامله مع القضايا الفكرية، وذلك لأنه كان يعرض أدلته وبراهينه التي رآها كافية لتبرير ما يتخذه من مواقف تجاه تلك القضايا، وما ينتهي إليه من نتائج، وفقاً للضوابط العامة التي اعتمدها حيث رأى أنه يصيب كبد الحقيقة، ويشرف على متن الواقع.

(١) الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٣، ص٢، وينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٤٤.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٤٤.

(٣) الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج٣، ص٢.

مجلة تراث السامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

ثانياً: المرجعية الدينية للشيخ المفيد:

حفلت المدة التي عاشها الشيخ بظهور المذاهب والنحل وبانقسامات كبيرة في الآراء وظهور مناظرات عنيفة وحادة بين مختلف المذاهب، وقد حفظت لنا الكتب الكثير من تلك الصراعات والنزاعات والمناظرات وخصوصاً الكلامية منها وهي غالباً ما تدور حول صفات الخالق وأفعال العباد في الجبر والاختيار وحول الإمامة والخلافة وما يتصل بها من مسائل العصمة والنص، وغيرها من المواضيع الاخرى.

وفي هذه الأجواء تألقت أسماء كثيرة من أرباب الملل والنحل الإسلامية من قبيل شيخ الأشاعرة أبي بكر محمد بن الطيب البصري المعروف بالقاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ) وشيخ المعتزلة القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥ هـ) وأبي الحسين البصري محمد بن علي بن الطيب (ت ٤٣٠ هـ) وغيرهم كثير.

والذي يهمنا هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد العكبري نسبة إلى عكبرا، وهي قرية في نواحي بلد، الذي تألق نجمه في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وكون مدرسة فكرية تستمد أصولها من تعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام ، ويعد من أكبر العلماء الذي تركوا آثاراً فكرية وعلمية نهضت بحركة مدرسة الشيعة الإمامية وبلورت مناهجها العلمية في مختلف العلوم، إذ انتهت اليه رئاسة المدرسة الإمامية بسبب ما يمتلكه من مكانة اجتماعية ونشاط في توجيه العلماء واعتناء بتربية الكوادر المؤهلة لزعامة المذهب حتى تخرج على يديه مجموعة من الفقهاء والعلماء الذين تولوا من بعده زعامة المذهب من أمثال الشريف المرتضى والطوسي[١].

وكان له المرجعية في الفتيا والأحكام في كثير من البلدان التي يرجع الناس إليه في أخذ الأحكام، والفصل في القضايا مثل جرجان وخوارزم وشيراز ومازندان ونيشابور والموصل وطبرستان وعكبراوغيرها من المدن التي كان أهلها يفزعون اليه لحل الخصومات وإبداء الرأي[٢].

---

(١) الطوسي، أبو الحسن محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، ج١، ص١٦ وما بعدها.

(٢) المرتضى، علم الهدى، ديوان الشريف

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

وخير دليل على ذلك ما نلحظه من رسائل تصل إليه في مختلف تلك البلدان التي ذكرناها أو من أشخاص في مناطق مختلفة، مما أدى بالشيخ إلى كتابة رسائل في الرد عليها وتسمى بأسماء تلك البلدان أو الأشخاص مثل جوابات أهل الموصل[١]، والمسائل الجارودية[٢]، والمسائل العكبرية[٣]، المسائل السروية[٤]، والمسائل الصاغانية، ودليل آخر هو ما ذكره الأستاذ حسن أمين في مقال له في الذكرى الألفية لوفاة الشيخ المفيد: (لقد كنت في أول نشأتي وأنا أتتبع شعر الشعراء المبدعين، قد قرأت لشاعر من أولئك الشعراء الذي يعيش في مدينة صور ـ إحدى كبريات مدن جبل عامل ـ هو (عبد المحسن الصوري) قصيدة في رثاء الشيخ المفيد يقول فيها:[٥]

يا له طارقاً من الحدثان
ألحق ابن النعمان بالنعمان
برئت ذمة المنون من الـ
إيمان لما اعتدت على الإيمان
يطلب المفيد بعدك والأسما
ء تمضي فكيف تبقى المعاني
فجعة أصبحت تُبلغ أهل الشا
م صوت العويل من بغدان

وهذه المكانة المتميزة للشيخ لم تأتِ اعتباطاً وإنما جاءت بفضل ما أوتي من مواهب ساعدته أن يمثل هذه المكانة وأن ينهض بالفكر الشيعي الإمامي، مما أحدث نقلة متميزة في المجال الفكري والاجتماعي على حد سواء، هذا بالاضافة إلى ما يمتلكه من موهبة علمية وسعة في الاطلاع فضلاً عن احترام الأمراء له مكناه من استحداث وضع فكري واجتماعي متميز في ذلك الوسط الذي بدأ الامتداد الشيعي يدب في أوصاله[٦].

المرتضى، ج١، ص٦٧.

(١) ينظر: المفيد، محمد بن محمد النعمان، جوابات أهل الموصل في العدد والرؤية، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

(٢) ينظر: المفيد، محمد بن محمد النعمان، المسائل الجارودية، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

(٣) ينظر: المفيد، محمد بن محمد النعمان، المسائل العكبرية، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

(٤) ينظر: المفيد، محمد بن محمد النعمان، المسائل السروية، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

(٥) الأمين، حسن، مدرسة الشيخ المفيد، بحث منشور ضمن (حياة الشيخ المفيد)، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، ص٩.

(٦) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

ثالثاً: صلة الشيخ المفيد بالدولة البويهية :

إن علاقة السلطان بالمفيد كانت حسنة[١] تبعاً للجو السياسي الذي عاشته البلاد، فقد ذكر عنه إن (ملوك الأطراف كانت تعتقد به لكثرة الميل إلى الشيعة في ذلك الزمان)[٢]، حيث قدر البويهيون في بداية تسلمهم السلطة مقامه العلمي ومكانته الواسعة، فأجروا الرواتب لتلامذته وخصصوا له جامع براثا في منطقة الكرخ للوعظ وإقامة الصلاة[٣].

ومن الملحوظ أن عضد الدولة البويهي قد بالغ في احترامه حتى يذكر عنه أنه قصد الشيخ المفيد لزيارته، وهناك من يعلل هذا الأمر الى وجود شخصيات شيعية كبيرة لم تكن على حال معه، وكانت تجنح لتأييد بختيار البويهي ـ ابن عم عضد الدولة ـ ضدّه، وأبرز تلك الشخصيات أبو أحمد الحسين بن الطاهر ت ٤٠٠ هـ ـ وهو والد الشريفين ـ الأمر الذي يقلل من أهميتها ويُسهل دحرها ـ أي العلاقة بينهما ـ وقد نجح عضد الدولة في إبعاد الشريف أبي أحمد إلى شيراز عام (٣٦٩هـ) بل وحبسه فيها دون أن يستثير ذلك حفيظة أحد من أصحابه)[٤].

إن الظروف السياسية والفكرية قد أتاحت للشيخ المفيد أن يتصدى لمناظرة المعتزلة والأشاعرة والزيدية والاسماعيلية والمحدثين ومحاجتهم ونقدهم، الأمر الذي ساعده على كتابة مؤلفات عديدة استدعتها النزعات الفكرية التي نشطت ذلك الحين، ولا يخفى أن مثل هذه المؤلفات التي أحصيت له والتي قاربت المئتي مؤلف بين كتاب ورسالة تحكي صورة واقعية عن الصراعات الفكرية والاتجاهات المعارضة التي كان الشيخ أحد الاطراف الفاعلة فيها مما حدانا إلى أن نختار هذا الموضوع المهم ـ وهو النقد عند الشيخ المفيد ـ لنتوقف على

عمر الدمشقي، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٥.

(١) لقد ذكرنا سابقاً أن أغلب علماء الإمامية كانوا متخذين موقف الصمت تجاه السلطة البويهية، والموقف هذا كان متبنى على أساس إن البويهيين أصحاب سياسة وسلطان لا أصحاب دين، بدليل أن بني بويه قد نفوا الشيخ المفيد من بغداد عدة مرات، و ليس هذا الكلام معناه أنه عارضهم.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٥.

(٣) ينظر: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، ص٢٢.

(٤) القزويني، جودت، الشيخ المفيد رائد الاجتهاد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ص١١٢ فما بعدها.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

أهم العوامل والاسباب التي أدت إلى هذه النزعة النقدية عنده.

المبحث الثاني

المنهج التكاملي عند الشيخ المفيد

إن المنهج النقدي الذي اتبعه الشيخ في رد الخصوم نابع أو مشتق من منهجه الفكري العام الذي شكل الخارطة الفكرية للعقائد الشيعية الإمامية، وأهم ما يميز منهجه بشكل عام أنه منهج كلامي متكامل نقدي مركب[١]، فبواسطة هذا المنهج يستحضر الشيخ مكوناته ومهاراته الفكرية كافة محاولاً توظيفها في دراسته للعلوم المختلفة، متوصلاً بذلك إلى نتائج تكون متكاملة مبنية على أسلوب نقدي جدلي تارة، وأسلوب نقلي روائي تارة أخرى، وأسلوب عقلي تارة أخرى، أما الأصول التي يستخدمها في منهجه التكاملي النقدي المركب السابق فهي:

أولاً: الأصول العامة للمنهج النقدي عند الشيخ المفيد:

القرآن الكريم: وهو المقدم على كل دليل عنده.[٢]

الرواية أو السنة المتضمنة لأقوال الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

الدليل العقلي المتمثل ببعدين هما :

الاضطرار العقلي (البديهيات).

قياس الغائب على الشاهد.

التحليل اللغوي للموضوعات المدروسة، فإنه يحاول تحديد معاني الكلمات المدروسة من حيث اللغة والاصطلاح لتوضيح معناها بشكل واضح وجلي.

وهناك من يضيف أصلاً خامساً متمثلاً بـ (التاريخ)[٣]، وقد أجاد الاستاذ محمود البغدادي عندما قال أبياتاً من الشعر في إكبار الأسس التي يعتمد عليها في نقده، ويستند إليها في أفكاره ومعتقداته:

ومناظرات للمفيد تدرّعت

بهدى الكتاب وعزة الإصلاح

(١) الجابري، علي حسين، جدل العام و الخاص (دراسة في إقليم الكوفة الحضاري و السؤال الفلسفي)، ص١٨٦.

(٢) ينظر: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، تصحيح اعتقادات الإمامية، ص٤٤-٤٥.

(٣) البلداوي، عبد الإله حسن علي، عكبرا، ص١٧٦.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

ويمدّها العقل المنير بضوئه

والعقل حجتنا بغير تلاحي

ولها السلاح من الحديث وفقهه

والدرب محظور بغير سلاح

ولها من التاريخ عمق كافحت

فيه انتكاس الفكر أي كفاح

صبرت على هول الطريق وصعبه

والصبر مفتاح لكل نجا ح (١)

هذه هي الأصول التي يرجع إليها الشيخ المفيد في منهجه التكاملي.

ثانياً: الفوائد المترتبة على المنهج التكاملي للشيخ المفيد:

حاول الشيخ المزج بين منهجين سابقين له متمثلين بالمنهج العقلي عند النوبختيين والمنهج النقلي عند أهل الحديث من أتباع مدرسة قم مستخلصاً منهجاً ثالثاً هو المنهج التكاملي .

فان عملية إدخال العقل في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية دون إفراط أو تفريط فانها تحسب له، إذ وظف العقل في علم الكلام وأصول الفقه والفقه وغيرها من العلوم الأخرى وبنسب متفاوتة.

وهذا الأمر ـ أي النقطة الثانية ـ أعطاه القدرة على التعامل مع العلوم، فنقلها من مرحلة الجمود والتطرف ـ سواء النقلي أو العقلي ـ إلى مرحلة المرونة ـ أي الوسطية ـ ثم إلى مرحلة التحرك والتوظيف ـ أي التكامل ـ كل هذا بواسطة المزج بين العقل والنقل.

اما توظيفه للمنهج الاحتجاجي النقدي داخل منظومته الفكرية المتكاملة، واتخاذه كأهم وسيلة يصل من خلالها إلى التكامل المعرفي في العلوم المختلفة. اذ وصلت العلوم ـ من خلال أسلوبه السابق ـ إلى مرحلة التكامل الفكري والعلمي وذلك من خلال التأسيس والتبويب لها، كما نلحظ في العقائد (علم الكلام) وأصول الفقه فضلاً عن الفقه وخصوصاً المقارن منه بل حتى علوم الحديث. كل هذا أكسب كتبه مكانة متميزة في الفكر الإسلامي وكذلك أصبحت المصادر الأساسية التي يعتمد عليها العلماء من بعده وخصوصاً علماء الإمامية.

وهذا رفع من مستوى الإمامية العلمي واشتد الفكر الشيعي بعد ضعف وجمود، لذا يقال: (له على كل إمامي

(١) البغدادي، محمود، مناظرات الشيخ المفيد، ج٥، ص٧. نقلاً عن، البلداوي، عبد الإله حسن علي، عكبرا، ص١٧٧.

منه)[١]، بل قال الخصوم عند موته: (هلك به خلق من الناس، إلى أن أراح الله المسلمين منه)[٢].

ثالثاً: الملامح العامة للمنهج التكاملي عند الشيخ المفيد:

أما أهم ملامح منهجه التكاملي بشكل عام فهي[٣]:

- وضوح العقيدة وبساطتها: إن واقعية المنظور العقيدي للشيخ المفيد تتجلى في وضوح الرؤية الكلامية المعتمدة على مصادرها الحديثية الموثوقة، وأظهرها الإقرار (بالإنسانية الكاملة) التي ترفض الغلو أو تأليه الأفراد: وقال بصريح العبارة (الغلاة من المتظاهرين بالإسلام (هم): الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته... إلى الإلوهية والنبوة، ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه.. الحد وخرجوا عن القصد وهم (في ضلال كفار[٤]، وهذا من جهة مصدره الخبري)، أما (الكتاب والسنة) فهي المنابع التي استقى منها الأئمة عليهم السلام أصولهم وعقائدهم التي وصلت اليه وهكذا رسم حدود منهجه الكلامي الأولي.

- حدود العقل: رفض الشيخ أن يجعل العقل غاية في حد ذاته أو مصدراً أولاً في الكلام، كما هو شأن المعتزلة، بل عده واحداً من الطرق المميزة للحق بشهادة من النص المقدس وحديث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأقوال الأئمة عليهم السلام فالعقل وسيلة الشيخ المفيد في الفحص والتحليل والجدل وليس بديلاً عن المصادر الأساسية للاثني عشرية وهو سبيله إلى معرفة حجية القران ودلائل الأخبار[٥] به نميز ونمتحن ونختار الحكم في المسألة ضمن سياقاتها الكلامية والعملية.

- التمسك بالأثر في الأصول: احتفظ المنهج الاثنا عشري التكاملي) بموقف خاص في مسألة الأصول الخمسة (التوحيد والعدل والنبوة والأمامة والمعاد) مستقلين عن أصول المعتزلة، لذلك وجدنا

(١) ينظر: ابن حجر، لسان الميزان، ج٥، ص٣٦٨.

(٢) ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج٣، ص٢٣١.

(٣) الجابري: علي حسين، جدل الخاص والعام، ص١٨٧-١٩٢.

(٤) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، تصحيح اعتقادات الإمامية، ص١٣١.

(٥) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، التذكرة باصول الفقه، ص٢٨.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

أ.م.د. ثائر عباس النصراوي

مدار البحث الكلامي عند الشيخ المفيد يدور حول العالم وصانعه وقدمه وأفعال العباد، وسيلته النص، صاعداً ـ عبر (الصدوق والقمي والكليني) إلى منابعه الأولى، مستعيناً بالعقل حيث يجب أن يكون عضداً للنص ووسيلة للحجاج، والكلام والعمل، جامعاً لثمرات (العقل والنقل) التي عرفها الكوفيون والبغداديون والقميون في كتبهم ورسائلهم ومجالسهم.

رابعاً: أسس التوفيق بين العقل والنقل عند الشيخ المفيد:

عندما لاحظ الشيخ سهام النقد قد وجهت إلى الشيعة الإمامية بغير حق وخصوصاً في مسالة إلحاقهم بالمعتزلة[١]، أو في مسالة اتهامهم بالجمود على النص وأنهم ليسوا بأصحاب فكر حر[٢]، لذا كان يتوجب عليه الرد على هؤلاء من خلال إدراك مسؤوليته الكلامية واستيعاب لأصول عقيدته، فقد أعلن حقيقة منهجه قائلاً: (نقول في الشريعة ما يوجب اليقين فيها، والاحتياط للعبادات ونقول على الحكم في الأشياء بما يقتضيه الأصل.. كما إننا لا نرى القول بالظن في الأحكام)[٣] معززاً كلامه بأدلة نقلية تؤيد منهجه وتوضحه، فالشيخ يأخذ :

أولاً: بكل ما هو غير منكر في العقل، وغير محظور في الشرع[٤]. ثانياً بما لا ينافي حديث الرسول صلى الله عليه وآله وظاهر الخبر[٥]. ثالثاً: بما يشهد عليه الكتاب والسنة النص الصريح وما ورد عن العترة الطاهرة عليهم السلام[٦]، بسند صحيح ومأمون.

لذلك رفض كل ما هو محدث وليس من شرع الإسلام[٧]، وتمسك بجوهر النص القراني)[٨] وقاعدته في القصاص (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى)[٩] ولا إطلاق خارج هذه القاعدة، ولعل حكاية (الرواية والدراية) ـ التي حدثت في مجلس الرماني ـ لخصت

---

(١) ينظر: النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج٢، ص٢٩٦.

(٢) ينظر: الخياط المعتزلي، أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان، كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، ص٦٤-٦٥.

(٣) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المسائل الصاغانية، ص٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٧٩.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٨٤، ص٩٣-٩٤.

(٧) ينظر: المصدر نفسه، ص٩٥.

(٨) ينظر: المصدر نفسه، ص٧, ١.

(٩) سورة البقرة، الآية ١٧٨.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

لنا حقيقة المنهج الكلامي للشيخ حتى استحق بفضلها لقب (الشيخ المفيد)[١]، ولتسليط الضوء على ذلك المنهج في شقّيه (النقلي والعقلي) نذكر ـ إضافة لما سبق ـ بعض الأمثلة التي ذكرها الأستاذ الدكتور علي الجابري[٢]:

طريق الصواب النقلي: نقل الشيخ المفيد في (المجلس الثالث من أماليه ؛ المنعقد ببغداد، في ٨ رمضان سنة ٤٠٤هـ) قول يحيى بن عبد الله للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: (جعلت فداك إنهم (الغلاة) يزعمون إنك لم تعلم الغيب. فقال سبحان الله، ضع يدك على رأسي، فوا الله ما بقيت شعرة فيه ولا في جسدي إلا قامت، ثم قال: لا والله، ما هي إلا وراثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله)[٣]. كما نقل في المجلس التاسع عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: (أوّلنا دليل على آخرنا، وآخرنا مصدق لأوّلنا، والسنّة فينا سواء، وأن الله تعالى إذا حكم حكماً أجراه، الحمد لله ربّ العلمين)[٤]، يؤكد صواب هذا الطريق النقلي قول النبي محمد صلى الله عليه وآله (أقربكم مني في الموقف أصدقكم حديثاً، وأداكم للأمانة، وأوفاكم بالعهد، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم للناس)[٥] إلى جانب ما ورد في وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام قائلاً له: (واقتصد يا بني في عبادتك، وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه، والزم الصمت تسلم، وقدر لنفسك تنعم). وقول الصادق عليه السلام عن آبائه: (ما رأيت علياً عليه السلام قضى قضاء، إلا وجدت له أصلاً في السنّة)[٦].

الاحتياط: (الاقتصاد في الاعتقاد) أو مبدأ التحوّط في الشبهات: إلى جانب وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن، يذكر الشيخ المفيد الكثير من النصوص التي تحث على التحوط من الشبه جاعلاً (المعرفة الحقة واليقين عنوان التعبد الصحيح، والسلوك الحميد، فيورد حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله يقول فيه: (ثلاثة أخافهن على أمتي؛ الضلالة بعد المعرفة، ومضلّات الفتن،

(١) ينظر: الأميني، محمد هادي، معلم الشيعة، ص١٧-١٩.

(٢) الجابري، علي حسين، جدل الخاص والعام، ص١٨٩-١٩٢.

(٣) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الأمالي، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، ص٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٨٤.

(٥) المصدر نفسه، ص٦٧.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٢٢.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

وشهوة الفرج والبطن)[١]، وهي خشية عززتها نصيحة الامام الصادق عليه السلام في خطابه للمسلمين قائلاً :(صونوا دينكم بالورع، ووقوه بالثقاة، والاستغناء بالله عز وجل عن طلب الحوائج إلى صاحب سلطان الدنيا)[٢] معتمدة في ذلك وصية الإمام علي عليه السلام لكميل بن زياد قائلاً له: (يا كميل أخوك دينك فاحتط لدينك بما شئت) [٣].

حدود الكلام وسبل الحقيقة: يتجلى المنهج الكلامي للمفيد في الأصول ذات المصادر التراثية (النقلية) المستقلة عن الجواب المعتزلي، بعد إن وقف الشيخ ليرد على من قرن منهجه بالاعتزال قائلاً: (لسنا نعرف للشيعة فقيهاً أو متكلماً.. أخذ الكلام من المعتزلة، أو تلفيقه الاحتجاج)[٤] على طريقة المعتزلة، ثم يعزو سبب التفاوت بين المنهجين (الاثني عشري والمعتزلي) إلى قول الثاني بالقياس والظن العقلي، بخلاف الأول الذي قال فيه الشيخ المفيد: (أما نحن، فنقول في الشريعة ما يوجب اليقين فيها والاحتياط في العبادات، نقول على الحكم في الأشياء بما يقتضيه الأصل كما إننا لا نرى القول بالظن في الأحكام)[٥].

خامساً: بعض تطبيقات المنهج التوفيقي بين العقل والنقل عند الشيخ المفيد :

وهنا نذكر بعض التطبيقات للأسس العقلية والنقلية التي اتبعها الشيخ المفيد في تعامله مع القضايا العقائدية مثل الإلهيات والإيمان والأرادة لاتصالها بهذه المباحث.

أ. في الإلهيات (الأسماء والصفات):
يقدم لنا المفيد إجابته النقلية على لسان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قائلاً: (أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله جل اسمه توحيده، ونظام توحيده نفي التحديد عنه؛ لشهادة العقول أن كل محدود مخلوق، وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بمخلوق، الممتنع من الحدث هو القديم في الأزل، فليس الله عبد من نعت ذاته، ولا إياه وحد من اكتنهه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا به صدق من نهاه، ولا صمد صمده من أشار إليه بشي ء من الحواس، ولا إياه عنى من شبهه، ولا له عرف من بعّضه، ولا إياه أراد من

(١) المصدر نفسه، ص١١١.
(٢) المصدر نفسه، ص١.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٨٣.
(٤) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المسائل الصاغانية، ص٤١.
(٥) المصدر نفسه، ص٤٤.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

توهمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول، بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول تعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجته خلقه تعالى، الخلق حجاب بينه وبينهم، ومباينته إياهم مفارقته لهم، وابتداؤه لهم دليل على أن لا ابتداء له؛ لعجز كل مبتدئ منهم عن ابتداء مثله، فأسماؤه تعالى تعبير وأفعاله سبحانه تفهيم، قد جهل الله تعالى من حدّه، وقد تعداه من اشتمله، وقد أخطأه من اكتنهه، ومن قال كيف هو فقد شبهه، ومن قال فيه لم فقد علله، ومن قال متى فقد وقّته، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال إلى م فقد نهاه، ومن قال حتى م فقد غياه، ومن غياه فقد حواه، ومن حواه فقد ألحد فيه، لا يتغير الله بتغاير المخلوق، ولا يتحدد بتحدد المحدود، واحد لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجل لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مباين لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسم، موجود لا عن عدم، فاعل لا باضطرار، مقدر لا بفكرة، مدبر لا بحركة، مريد لا بعزيمة، شاء لا بهمة، مدرك لا بحاسة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة، لا تصحبه الأوقات، ولا تضمنه الأماكن، ولا تأخذه السنات، ولا تحدّه الصفات، ولا تفيده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بخلقه الأشباه علم أن لا شبه له، وبمضادته بين الأشياء علم أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة والصر بالحرور، مؤلف بين متباعداتها، ومفرق بين متدانياتها، بتفريقها دل على مفرقها وبتأليفها على مؤلفها)[١]، وغيرها من المقولات المتعلقة بالجواهر والأعراض.

ب. الإيمان: يعرض لنا الشيخ المفيد المفهوم الاثني عشري للإيمان على لسان النبي صلى الله عليه وآله في قوله: (الإيمان قول مقول، وعمل معمول، وعرفان العقول)[٢]. وقول الإمام علي عليه السلام: (لا يقل على التقوى عمل، وكيف يقل ما يتقبل)[٣]، وقوله عليه السلام: (فبالإيمان يستدل على الصالحات، وبالصالحات يعمر الفقه، وبالفقه يرهب الموت، وبالموت تختم الدنيا، وبالدنيا تحوز القيامة، وبالقيامة تزلف الجنة للمتقين... فالإيمان على أربع دعائم: الصبر واليقين والعدل والجهاد...)[٤]، ويستكمله بقول

(١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الأمالي، ص٢٥٣-٢٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٩، ص١٩٤، ص٢٨٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٧٧.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

الصادق عليه السلام: (لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه أربع خصال: يحسن خلقه، ويسخي نفسه، ويمسك الفصل من قوله، ويخرج الفضل من ماله)[١].

ج. الأرادة: يحتفظ المفهوم الكلامي للإرادة عند الشيخ المفيد بفهم يختلف عن الفهم المعتزلي وأن تقسم القول فيها على المعنى الخاص (بالإلهيات) والمعنى المتصل بالإنسان بدت فيه متكاملة، فينقل لنا الخوانساري نصوصاً سجلها تلميذ المفيد (الكراجكي) في كتابه (كنز الفوائد) فتحدث عن الإرادة قائلاً: (الإرادة من الله جل اسمه نفس الفعل، ومن الخلق الضمير وأشباهه مما لا يجوز إلا على ذوي الحاجة والنقص. وذاك أن العقول شاهدة بأن القصد لا يكون إلا بقلب كما لا تكون الشهوة والمحبة إلا لذي قلب، ولا تصح النية والضمير العزم إلا على ذي خاطر يضطر معها في الفعل الذي يغلب عليه إلى الإرادة له والنية فيه والعزم. ولما كان الله تعالى يجل عن الحاجات ويستحيل عليه الوصف بالجوارح والآلات ولا يجوز عليه الدواعي والخطرات بطل أن يكون محتاجا في الأفعال إلى القصود والعزمات وثبت أن وصفه بالإرادة مخالف في معناه لوصف العباد وأنها نفس فعله الأشياء وإطلاق الوصف بها عليه مأخوذ من جهة الاتباع دون القياس، وبذلك جاء الخبر عن الأئمة[٢].

ولإيضاح معنى الإرادة الإنسانية يورد الشيخ نصاً مرفوعاً إلى أبي الحسن عليه السلام جاء جواباً عن سؤال لصفوان بن يحيى، قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله تعالى ومن الخلق فقال: الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد كذا الفعل والإرادة من الله تعالى إحداثه الفعل لا غير ذلك؛ لأنه جل اسمه لا يهم ولا يتفكر[٣]. وبهذا ميز المفهوم الاثني عشري للإرادة عن المفهوم المعتزلي الوارد عن أبي القاسم الكعبي الذي رفض عدّها من صفات الله تعالى ما دام الله علام الغيوب، حيث يغني علم الله وقدرته عن الإرادة إذ لم يعد الله بحاجة اليها[٤].

وهكذا احتفظ الشيخ بمنهج نقلي وعقلي بناه على أسس نقدية جدلية متوازنة

(١) المصدر نفسه، ص٣٥٥.

(٢) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، مسألة في الإرادة، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، ص١١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: القاضي عبد الجبار المعتزلي، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي، شرح الأصول الخمسة، ص٤٣٤.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

تحرك العقل بتدبر صحة النص وقوته في التعبير عن الحقيقة مثلما تدبر سلامة الطريق إليه، وجعل المحاكمة سبيله لموقف سليم يتجنب فيه إفراط العقل أو التفريط به، فكان عقلياً في نقده ومنطقه ومجادلاته مع الآخرين ورياضاته العقلية، على تفاوت مناهج الآخرين، مثلا كان نصياً في عقائده الكلامية، لم يتساهل حتى مع بعض المتكلمين من الاثني عشرية إلى جانب واقعيته في أمور حياته العملية وحياة من تأثر به.

لقد كان الشيخ يشعر بمسؤوليتين تجاه الآخرين وهو يرسم حدود منهجه ومرتكزاته الفلسفية العميقة التي تتسم بالشمول والوضوح، كما تمسك بالتراث الإمامي فجعله حبلاً ممدوداً يشده إلى منابع يقينية لا غنى عنها في التثبت والصواب واليقين العقيدي وسلامة الطريق المفضي إلى الحق، معتمداً القاعدة المنطقية القائلة إن الطريق الحنيف يقود إلى غاية سامية وموقف صحيح[١]. أما حقيقة هذه المصداقية فلا تخرج عن نص قرآني صريح ومحكم وحديث نبوي صحيح و خبر عن العترة صادق في قائله وناقله ولاسيما أن عصر الشيخ المفيد ليس ببعيد عن عصر النص المتوارث بواسطة الأئمة عليهم السلام إلى الإمام الثاني عشر عليه السلام.

لذا كان الشيخ يمثل العقلانية ـ النقلية ـ النقدية، في الكلام لمدرسة بغداد الإمامية، واحتفظ لنفسه بمنهج تكاملي رسم بواسطته المسافة بينه وبين المواقف الكلامية الأخرى المعتزلية والأشعرية داخل الفكر الإسلامي بروح تؤمن بحرية الحوار وحق المرء في قناعاته، بعيداً عن التعصب والتطرف، كان مثلاً للمفكر الذي تسلح بالمنطق ليرسي دعائم عقيدته الكلامية، على أسس نقلية موثوقة حاول الشريف المرتضى تجاوزها، بعد حين محاكاة للمنهج المعتزلي، لكن الشيخ الطوسي عاد بها إلى حيث أراد الشيخ المفيد فكان أميناً على منهج شيخه في بغداد والنجف، بعد أن ارتحل إليها بسبب تدهور الظروف[٢]. ثم إن الشيخ المفيد في أصالته وتجديده المنهجي رسم ولأول مرة حدوداً فاصلة بين المبادئ الإمامية الاثني عشرية الجعفرية، وبين العقائد المعتزلية وغيرها من الفرق الإسلامية.

(١) الجابري، علي حسين، جدل الخاص والعام، ص١٩٨.

(٢) الجابري، علي حسين، جدل الخاص والعام، ص١٩٨.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

المبحث الثالث

أسس المنهج النقدي عند الشيخ المفيد

المتتبع لمساجلات ومجادلات ومناظرات وردود الشيخ المفيد سواء مع المفكرين داخل بنية الفكر الإمامي الاثني عشري أو الفكر الإسلامي بشكل عام فإنه يلاحظ المنهج النقدي طاغياً على كتاباته، وهذا راجع إلى تكوينه الفكري داخل وسطه العلمي المتمثل بتكوينه المعرفي على يد والده في عكبرا، ثم دراسته بمدرسة بغداد، إضافة إلى تلمذته على شيوخ المعتزلة والإمامية في آن واحد.

وهذه التلمذة وفرت له فرصة طيبة لفحص مناهج المتكلمين واختبارها بطريقة عقلانية أهلته لنقد تلك المناهج والارتقاء بها إلى منهج تكاملي نقدي متجاوزاً بذلك التقليد والمحاكاة للسابقين[١]، لذا فإننا سنقوم باستعراض أسس منهجه النقدي على بعدين :

الأول: المتعلق بالمناهج والتيارات الكلامية الإسلامية الأخرى وخصوصاً المعتزلة.

الثاني: نقد المناهج الكلامية والمتمثلة بأصحاب الحديث من الشيعة الإمامية وخير ممثل لهم الشيخ الصدوق.

القسم الأول: أسس المنهج النقدي للمعتزلة عند الشيخ المفيد :

إن معرفة الشيخ بدقائق الأصول الاعتزالية الخمسة التي يتفق معها في اثنين من أصوله فقط هما التوحيد والعدل ـ ولو بصورة نسبية ـ أهلته لاتخاذ موقف نقدي من أصحابها حتى خص أبا القاسم الكعبي بنقد خاص لوسيلة المعرفة الكلامية المعتزلية، وهو ما أورده في كتابه الغررمن حدود العقل، ومباحث الاجتهاد، معترضاً على قول الكعبي في مسألة الاجتهاد، وبأنه رافض الاجتهاد قد اجتهد وأن الناقل عن الإمام قد اجتهد، كما إن الأخذ بقول الإمام حكم لم ينص الله ولا رسوله عليه)[٢] قائلًا للكعبي: (أخبرنا عمن أثبت الأصول الخمسة عندك من جهة الاجتهاد، وأبطل النص فيها ولم يعتمد عليه؟ وزعم أن الاجتهاد هو طريق إلى العلم بها، لكون النظر أصلاً في إبطال مقاله أم لا سبيل إلى الرد عليه إلا من جهة التوقف؟ فإن قال: لا سبيل إلى كسر مذهبه إلا من جهة التوقف قيل له: فقد

(١) الجابري، علي حسين، جدل الخاص والعام، ص١٩٢.

(٢) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الفصول المختارة، ص١-٥.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

كان العقل إذن يجيز للناس وضع الشرائع كلها من جهة الاجتهاد، وهذا خلاف مذهبي... على إن صحة السمع لا يخلو من أن تكون معروفة من جهة النظر والخبر. ثم يتساءل الشيخ :هل العقل يمارس دوره هنا في عملية قبوله الخبر أم لا؟ ويعقب على قول الكعبي قائلاً: وإن للقائل أن يستدل على صحة مقاله بمثل استدلالك فيقول: وجدت كل من أبطل الاجتهاد في استخراج هذه الأحكام يضطره الأمر في ذلك إلى الاجتهاد، ولأنه إن استعمله مبتدئاً فيه، فضرورته فيه ظاهرة، وإن استعمل النص والاحتجاج بالإجماع، فإنا نصححها بفهم مضطر بالاجتهاد في أصل ما اعتمد عليه الاجتهاد... وهذا نظير ما قلت يا أبا القاسم لمخالفتك في الاجتهاد في الفروع عندك، وفي زعمك أن الاجتهاد في الأحكام له قد يمنع من الحكم على الذاهب عنه بالضلال[١].

ويستمر بمناقشة حجج القائلين بالاجتهاد بمنطق عقلي ـ جدلي، يكشف بواسطته تناقض حجج الكعبي ومن قال بمقالته: قائلاً له: ومبطلو الاجتهاد إنما أبطلوه بضرب من النظر والاستدلال، وحكموا على الذاهب عنه بالضلال، فمن أين صار ما أبطله القول من الاجتهاد هو الذي به صححوه؟ وما صححوه هو الذي شهدوا بفساده[٢]، ويصل الشيخ إلى جوهر الحجاج قائلاً: إن ما ذهب اليه أبو القاسم... في خلافنا في الحكم بالنص ليس هو اجتهاد في الحقيقة، بل هو حدس وترجيح، وظن فاسد لا ينتج يقيناً ولا يولد علماً... ولو اعترفنا لهم فإنهم مجتهدون لما لمناهم على فعلهم، لكننا نعتقد فيهم أنهم مقصرون تائهون ضالون، ومن أطلق لفظه بالرد على أهل الاجتهاد في الأحكام إنما أطلقه مجازاً؛ لأن القوم قد شهروا أنفسهم بهذه الصفة حتى صارت كالعلم لهم[٣].

ولكي يقلل من حرية التناول العقلي لمباحث العقيدة الكلامية وثوابتها وأصولها اعتماداً على الظن والترجيح قال: تعلق قوم من متفقهة العامة من جهال المعتزلة في صحة الاجتهاد والقياس ، بقول أمير المؤمنين عليه السلام: علمني رسول الله ألف باب فتح من كل باب ألف باب[٤] وهو

(١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الفصول المختارة، ص١-٦.

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

يرى أن لا علاقة لهذا النص بما ذهب اليه هؤلاء ومن تأثر بهم من الاثني عشرية، ولام الجميع على سوء الفهم الناشئ عن قول الإمام الصادق عليه السلام: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب والربا في كل مكيل وموزون[١] علمًا أنه رفض العمل بالقياس في مواضع كثيرة بمعنى حمل الشيء على نظيره في الحكم والعلة الموجبة له في صاحبه[٢]، لينفي هذه الوسائل عن دائرة الكلام الاثني عشري.

كما وجه الشيخ نقده للأشاعرة ممثلين بمعاصره أبي بكر الباقلاني محذراً من مخاطر العمل بالظن قائلاً: قال أبو بكر الباقلاني... الذي ذهب إلى القول بغلبة الظن يعني أن ما غلب في ظني عملت عليه، وجعلته سمة ولعلمه، وأن غلب في ظن غيري سواء وعمل عليه وكل مجتهد أصاب ولم يخطئ) فيرد عليه الشيخ قائلاً: (هذا أضعف وأوهن من جميع ما سلف... وذلك أنه لم يكن لله تعالى على المعنى ولا السمة[٣]، فلا تمويل في العقيدة على ظن ولا على قياس عقلي، بل الجوهر عنده يلخصه قائلاً: أما الشريعة فلا عادة فيها ولا أمارة من دراية أو مشاهدة؛ لأن النصوص قد جاءت فيها باختلاف المتفق في صورته وظاهر معناه، واتفاق المختلف في الحكم، وليس للعقول في رفع حكم منها أو إيجابه مجال[٤]. وبهذا النص حسم الجدال، وحدد صلاحية العقل وصلاحه، مثلما حدد مهمات النقل في مجمل العقيدة الكلامية.

لم يكتفي المفيد بمتابعة طرق الكلام وحدوده بل تناول المسائل العلمية وما خالطها من أجوبة عقلية متحررة ولا سيما في أبرز المدارس الفقهية مساجلات مع ممثلها في مدينة صاغان وغيرها، ومنها[٥]:

أ. رفض التعويل على القياس في الأحكام الشرعية العملية إذا لم يأت بها أثر عن الصادق عليه السلام، وليس هذا فقط بل قرنه أحياناً بالظن الفاسد قائلاً : فأما القياس بالشريعة فليس بأصل عندنا ولا مثمر علماً، ولو كان أصلاً لكان شاهداً بما

(١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الفصول المختارة، ص١-٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٢.

(٣) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الفصول المختارة، ص٨٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٨٥.

(٥) الجابري، علي حسين، جدل الخاص والعام، ص١٩٥.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

ذكرناه[١].

ب. رفض العمل بالرأي والاستحسان كبديل للأثر في معالم الدين[٢]، حيث نجم عن ذلك اجتهادات علمية جاءت بعيدة عن حكم النص.

القسم الثاني: نقد الشيخ المفيد لمتكلمي الإمامية (الصدوق أنموذجاً):

حاول الشيخ المفيد تصحيح مسار الكلام الشيعي وذلك من خلال تفريقه بين تيارين في هذا المسار هما:

التيار الكلامي الإمامي المعتمد على العقل، وأهم من مثل هذا التيار هم بنو نوبخت الذين أفرطوا في استخدام العقل والذين ظهروا مع بدايات الغيبة الكبرى للإمام الحجة عليه السلام.

التيار الكلامي المعتمد على النقل والذي مثله أصحاب الحديث وخصوصاً الشيخ الصدوق الذي ألف كتاباً أسماه اعتقادات الإمامية ، فرد عليه الشيخ في مواضع مختلفة مما أدى إلى ظهور كتابه القيم الذي أسماه تصحيح اعتقادات الإمامية أو شرح عقائد الصدوق.

(١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المسائل الصاغانية، ص١١١.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٢.

إذ يلاحظ أن علم الكلام في القرن الرابع الهجري كان لا يزال مدار بحث بين الإمامية، فالشيخ الصدوق يرى أن مسؤولية الإنسان الخبير المتمرس في علم الكلام هي الاحتجاج على المخالفين بقول الأئمة عليهم السلام أو بمعاني كلامهم[٣]، أما الشيخ المفيد فإنه كان يدافع عن الأشخاص الذين يستعملون العقل أي النظر ويعتمدون الحجاج ويجادلون بالحق ويدمغون الباطل بالحجج والبراهين[٤].

لذا فإننا سنعرض للملامح العامة للمنهج النقدي التي حاول من خلالها الشيخ المفيد تصحيح الاعتقادات التي قال بها الشيخ الصدوق، يسبقها الطرق التي تعامل فيها الشيخ مع الأخبار ثم بعض تطبيقات المنهج النقدي بين الصدوق والمفيد.

(٣) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، الاعتقادات، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، ص٤٣.

(٤) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، تصحيح اعتقادات الإمامية، ص٧.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م

أولاً: منهج الشيخ المفيد في التعامل مع الأخبار :

إن منهج الشيخ المفيد في الأخبار هو عقلي تأويلي أي يعرضها على العقل، أي إن مضمون الحديث مما تجوزه العقول ولا تنكره، وإن تصح الأخبار المتضمنة له، كما ورد في كتابه أوائل المقالات في موضوع معرفة الأئمة بجميع الصنائع[١].

وهذا الأمر تابع لمنهج المفيد الذي أعطى مساحة واسعة للعقل على عكس الصدوق، إذ قال الشيخ المفيد: الذي ذكره الشيخ أبو جعفر في هذا الباب لا يتحصل، ومعانيه تختلف وتتناقض، والسبب في ذلك أنه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة، ولم يكن ممن يرى النظر فيميز بين الحق منها والباطل ويعمل على ما يوجب الحجة، ومن عول في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه ، وليس هذا فقط، بل إنه أي المفيد قد استبدل الطريقة القديمة في رواية الحديث من حيث العنعنة إلى طريقه ومنهجه الجديد المعتمد على ذكر اسم الراوي عن الإمام فقط ويترك بقية السلسلة الروائية وأنه يهتم بمتن الحديث أكثر من سند، وهذا بالطبع تابع لمكانة وأهمية العقل في منهج المفيد، إذ المفيد يعدّ متكلماً أكثر منه فقيهاً أو راوياً، فأثر منهج المتكلمين في روايته للحديث هذا جانب، وجانب آخر إن منهجه العقلي تابع لبيئته ومدرسته التي عاشها وهي بيئة عقلية يكثر فيها الجدل والكلام والمناظرة والحجاج، ولو استعمل معهم الاسلوب الروائي لفشل في هذا الميدان مما يدل على أنه كان واعياً للمتطلبات الثقافية والفكرية في عصره مما نقل الفكر الإمامي من مرحلة الجمود إلى مرحلة الفكر الحر العقلاني في مختلف العلوم، فأدى ذلك إلى عدّه مؤسساً لمدرسة إمامية جديدة تعتمد المنهج التكاملي الاسلوب العقلي حتى في العلوم الروائية، وكان لهذه المدرسة أثرها على من جاء بعده من تلاميذ ليطوروها، فضلاً عن إن المفيد قد مزج بين مدرستين إماميتين سابقتين هما المدرسة الحديثية في قم والمدرسة العقلية للنوبختيين، ليستخرج لنا منهجه التكاملي الذي مزج الرواية بالعقل.[٢]

يعتمد منهج الشيخ على التفسير القرآني والتأويل العقلي؛ إذ إنه مثلاً في مسألة قول الصدوق حول الآية: (واذكر

(١) ينظر: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، أوائل المقالات، ص٦٨.

(٢) ينظر: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الجمل، ص١٤-١٦.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

عبدنا داوود ذا الأيدِ انه أواب)[١] فقال الصدوق ذو القوة[٢]. فرد عليه المفيد: إن هناك معنى آخر وهو النعمة كما في قول الشاعر[٣]

له عليَّ أيادٍ لست أكفرها

وإنّما الكفر إلّا تشكر النّعم

كما يحتمل أن قوله تعالى: (داود ذا الأيد) يريد به ذا النعم، ومنه قوله تعالى: (بل يداه مبسوطتان[٤] يعني نعمتيه العامتين في الدنيا والآخرة. [٥].

فالمفيد هنا يقوم تأويله على أساسين هما :

الاستشهاد اللغوي، والاستشهاد بالشعر العربي.

الاستشهاد بالقرآن نفسه أي القرآن بالقرآن.

ولكن هناك من يلاحظ على المفيد ما يأتي : إن السياق لا ينسجم مع التفسير؛ لأن الآيات التالية تتحدث عن القوة التي يملكها داود في تجاوب الجبال والطير معه من خلال تأثيره عليها في تسبيحها معه وفي شدّ ملكه وإلهامه الحكمة وفي الكلمة الفصل التي يحسم بها الأمور، وفي إلانة الحديد، مما يجعل المسألة بعيدة عن عالم النعمة في معناها المنفتح على العطاء للآخرين، وبذلك يختلف المعنى المراد منها عن قول الشاعر. أما كلمة بل يداه مبسوطتان فهي ليست واردة على سبيل المعنى المجازي من خلال المدلول المطابقي، بل هي واردة على سبيل الكناية باعتبار أن اليد المبسوطة أداة للنعمة، الأمر الذي يجعل فهم المعنى منها على أساس أن العطاء ينطلق عادة من اليدين في الإنسان عندما يكون منفتحاً على الخير كله، ولذلك فإن التثنية ليست مراده في المعنى المقصود بل هي تعبير عن الاداة الطبيعية للعطاء الذي تنطلق منه النعمة، كردّ على قول اليهود في قوله تعالى: (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كما يشاء) ، وفي كلتا الحالتين فإن ذلك لا يغير شيئاً من الفكرة في الرد على المجسمة الذين يحملون

---

(١) سورة ص، الآية ١٧.

(٢) الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين القمي، الاعتقادات، ص٢٣.

(٣) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، تصحيح اعتقادات الإمامية، ص٣.

(٤) المائدة، الآية ٦٤.

(٥) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، تصحيح اعتقادات الإمامية، ص٣.

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

الكلمات على ظاهرها في نسبة الأعضاء إلى الله، فإن الجو المحيط بالآيتين لا ينسجم مع ما يحاولون من تأكيد مزاعمهم[١]

ثم يذكر السيد فضل الله أن تفسير الآيات السابقة تعتمد عند الشيخ المفيد على[٢]:

أنه ـ أي المفيد ـ يؤكد على المدلول الحرفي للكلمة حقيقة ومجازاً.

يتابع كلمات أهل اللغة من دون تحليل ولا يتفتح على الجانب البلاغي الفني للنص القرآني؛ لأنه منهجه العقلي قد يوحي اليه بالتركيز على المعنى اللغوي بشكل جامد لا بطريقة فنية موحية متحركة.

انطلاق المفيد في تفسير القرآن من موقع رد الفعل لما يثيره الآخرون سواء كانوا مجبرة أو مشبهة أو أصحاب حديث أو غيرهم، فإذا كان أولئك يركزون على المعنى الحرفي اللغوي للكلمة كأساس لتفكيرهم، فإن العقليين من أمثال المفيد يبحثون عن المعنى الذي يمكن أن يكون مدلولاً للكلمة مما يصلح أن يكون رداً على أولئك بقطع النظر عن الاجواء الفنية للآية لأن المطلوب هو إسقاط حجة المخالف لا النظر المستقل إلى طبيعة الآية وهذه هي مشكلة التأويل العقلي.[٣]

ثانياً: الملامح العامة لمنهج نقد الشيخ المفيد لاعتقادات الصدوق:

هناك مجموعة من المؤاخذات التي سجلها الشيخ المفيد على استاذه الصدوق في الطريقة التي اتبعها الأخير في اعتقاداته والتي يمكن إجمالها بالآتي:[٤]

إن الصدوق لا يدقق في مضمون الحديث الذي يورده ليقارن بينه وبين الأحكام العقلية القطعية أو المدلول القرآني الذي هو الأساس في تصحيح الأحاديث ومعرفة صحيحها من سقيمها، بل يأخذ الصدوق الحديث جملة وتفصيلاً من دون محاكمة وتدقيق، وقد لا يتوقف، أما توثيقه من ناحية السند فيأخذ في بعض الحالات بالأحاديث الشاذة.

عدم اطلاع الشيخ الصدوق على كثير من آراء الفرق والمذاهب والتيارات

---

(١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، تصحيح اعتقادات الإمامية، ص٣.

(٢) فضل الله، محمد حسين، مع الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد، ص١٨-١٩.

(٣) فضل الله، محمد حسين، مع الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد، ص٢٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٩-١٢.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

سواء الإسلامية أو غير الإسلامية، مما أدى به إلى الوقوع في الأخطاء ونسبة آراء إلى الإمامية هي من قول فرق أخرى مثل قوله حول التناسخية ورد المفيد عليه.

عدم امتلاك الصدوق القدرة على تحصيل معاني الأحاديث؛ لأنه ـ أي الصدوق ـ لا يستطيع سلوك هذا الباب، مما أدى إلى فرض استنتاجات تخالف كتاب الله الذي هو المرجع لتدقيق الأحاديث.

الأخذ بظواهر الأحاديث مما عرض اتباع أهل البيت ـ حسب رؤية المفيد ـ إلى تأثيرات سلبية وخصوصاً على الخط العقيدي وعلى السائرين عليه، وهذا من أهم ما يؤخذ على أهل الحديث الذين وصفهم المفيد بالسذاجة والبعد في موقع الوعي وقله الفطنة.

هذا الأمر أدى بهم إلى التعبد بكل حديث صادر عن الثقاة من دون توقف أمام سنده مما أدى بهم إلى تقديس الأشخاص لا الفكر الذي يحمله هؤلاء الأشخاص، مما أوجب الإضرار بدينهم من حيث لا يشعرون.

أصحاب الحديث، ومنهم الصدوق، يتعاملون مع ظواهر الألفاظ ويعدلون عن طريق الاعتبار فيضلون من حيث لا يعلمون.

ابتعاد أهل الحديث عن الدراسة المقارنة بين الأحاديث نفسها أو بينها وبين القران والعقل، أي أنهم لا يقارنون الأحاديث بالعقل وأدلته أو بالقران ومضمونه، وكما أمر أهل البيت عليهم السلام، وهذا الأمر حسب رؤية الشيخ المفيد يجب أن يتم التركيز عليه لمعرفة قواعده ـ أي الحديث ـ وأبعاده.

إن أهل الحديث يأخذون بالحديث دون ملاحظة الاحتمالات المحيطة به في أجواء الخلافات الفكرية في زمن صدوره مما قد يدفع ببعض أصحاب الاتجاهات المختلفة إلى وضع الأحاديث التي تتناسب مع تفكيرهم فيخفف ذلك الثقة بهم وأنهم ـ أي أصحاب الحديث لا يدققون في إيجابيات نتائج الحديث وسلبياته بل إنهم لا يلتفتون إلى اللوازم الباطلة الناتجة عنه من كل ذلك.

أي إن أصحاب الحديث يتعلقون بالنص فقط دون دراسة للحالة الاجتماعية والفكرية والثقافية والسياسية المحيطة بالنص أو التي انتجت النص ـ أي الحديث ـ .

إن أصحاب الحديث يعتمدون على

مجلة تراث السلام
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م

الحديث من حيث مضمونه وهذا المضمون لا يجب أن يكون مستلزماً للمحال ـ عقلاً ـ بالمعنى المطلق ـ أي التناقض العقلي ـ ولكنهم لا يدرسون طبيعة ذلك الحديث في إمكاناته الواقعية، ومدى انسجامه مع الجانب العملي في المسألة.

الاستنتاجات:

ان القراءة التحليلية للمنهج التكاملي ، سواء في المسائل التي حلل الشيخ المفيد فيها واستعرض آراء الفرق الكلامية، أو تلك التي نظر فيها لرأي الإمامية، تحصلنا على أن هدفه يتمثل بنتيجتين الأولى مباشرة وكهدف جوهري واضح وصريح، واخرى جاءت كنتائج غير مباشرة وهي :

١ـ إبراز القضايا الكلامية التي اختلفت حولها الآراء.

٢ـ إبراز رأي كل فرقة من المسألة.

٣ـ تمييز الرأي الإمامي عن غيره حول تلك القضايا.

٤ـ التدليل على استقلالية الكلام الشيعي عن الكلام المعتزلي.

٥ـ تبيان الاختلاف في النتائج المستخلصة، استنادا إلى المناهج المتنوعة التي اعتمدتها المذاهب الأساسية للفرق الكلامية، وبالتالي تحديد الراي الامامي المرتكز إلى المنهج الجديد الذي تبناه. إذ ان المناهج المستخلصة للفرق والمذاهب الإسلامية في هذا البحث هي:

أ– منهج أهل الحديث الذي مثله الأشاعرة من العامة ومدرسة القميين من الشيعة.

ب – منهج العقلانية المفرطة، الذي مثله المعتزلة من العامة، وبنو نوبخت وابن الجنيد من الشيعة.

ج – منهج تكامل العقل والحديث الذي مثله محمد بن محمد النعمان (العكبري).

٦ـ ان المسائل التي تناولتها الدراسة قد بينت حجم الخلاف الذي كان مستحكما بين المذاهب الكلامية الإسلامية، وطبيعة القضايا المتنازع فيها في تلك الحقبة من التاريخ الثقافي للمجتمع الإسلامي.

٧ـ سرد أسماء الفرق والشخصيات الكلامية البارزة التي تزعمت في تلك الفترة تيارات الكلام ومجالس النظر.

٨ـ تحديد مستوى العقل الكلامي الذي كان يحكم تفكير المتكلمين المسلمين انذاك.

٩ ـ حالة الانقسام التي كانت تسود

صفوف المسلمين حول القضايا الكلامية المطروحة واستشراء هذا الانقسام داخل المذهب الواحد.

١٠ ـ ان عنايتة بدراسة الفرق والتيارات الإسلامية سواء الشيعية أو غيرها جاءت على بعدين:

الأول: عناية تعرف وتعريف بالفرق: وذلك للاطلاع على آرائهم ومحاولة الاحاطة بها.

الثاني: عناية جدل ومناظرة: فبعد ان تعرف على الآراء واطلع عليها بدأ بتوضيح الفاسد من القول من خلال المناظرة والجدال.

١١ـ ان العقل له خصوصية عند الأصوليين من الإمامية وبالذات الشيخ نفسه، إذ إن العقل لديه يتحرك في المساحة التي سكت عنها النص أو لم يعط فيها حكماً محدداً. فالمتغيرات وسيلتها العقل والنظر والجدل، اما الثوابت الاعتقادية الايمانية فوسيلتها النص.

١٢ـ استطاع ان يؤسس لمذهب كلامي شيعي جديد، وبالتالي تحويل المسار الذي انتهجه المتكلمون الشيعة قبله لصالح التيار الذي انطلق به، وثبت ركائزه عبر منهجية مستقلة دقيقة ومدروسة، أكد صوابيتها وصحة نتائجها العلماء الشيعة الذين برزوا بعده الذين بحثوا في القضايا الكلامية ذاتها، ما أدى إلى تعويم التيار الجديد، فساهم ذلك في حصول الاستقرار الفكري داخل المذهب الواحد بعدما خبت وانطفأت الفرق والشخصيات الكلامية المنتمية إلى المدرسة الحديثية أو تلك التي تبنت المنهج العقلاني البحت.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٥٦م.

٢. الأمين، حسن، مدرسة الشيخ المفيد، بحث منشور ضمن (حياة الشيخ المفيد)، دار المفيد للطباعة، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

٣. بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣، ١٩٧٧م.

٤. البغدادي، محمود، مناظرات الشيخ المفيد، المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشيخ المفيد، قم، ١٤١٣ هـ، من كتاب المقالات والرسائل.

٥. الجابري، علي حسين، جدل العام والخاص (دراسة في إقليم الكوفة الحضاري والسؤال الفلسفي)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، بدون تاريخ.

٦. الجالي، زكريا منشاوي، منهج البحث النقدي عند كارل بوبر، ضمن كتاب، فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٧. الحكيم، حسن عيسى، الشيخ الطوسي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط١، ١٩٧٨م.

٨. ديكارت، رينيه، مقالة الطريق لحسن قيادة العقل للبحث عن الحقيقة، ترجمة جميل صليبا، بيروت، لبنان، ١٩٧٥.

٩. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م.

١٠. رسول، فاضل، الدين والدولة وصراعات الشرعية، مجلة الحوار، العدد (٦)، سنة ١٩٨٧م.

١١. الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى، حقائق التأويل في متشابه التنزيل، شرحه الاستاذ محمد الرضا آل كاشف الغطاء، دار المهاجر للطباعة، بدون تاريخ.

١٢. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي، تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق، عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

١٣. الطاهر، علي جواد، منهج البحث الأدبي، منشورات المكتبة العالمية، بغداد، ط٧، ١٩٨٦م.

١٤. الطوسي، أبو الحسن محمد ابن الحسن، تهذيب الاحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، تقديم حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران.

١٥. الفضلي، عبد الهادي، أصول البحث، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران، بدون تاريخ.

١٦. القاضي، عبد الجبار المعتزلي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي، شرح الأصول الخمسة، مطبعة مصر، ط١، القاهرة، ١٩٦٥ م.

١٧. القزويني، جودت، الشيخ المفيد رائد الاجتهاد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، مجلة رسالة التقريب، العدد (٥١).

١٨. المفيد، محمد بن محمد النعمان، المسائل الجارودية، تحقيق، محمد كاظم مدير شانجي، دار المفيد للطباعة، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

١٩. المفيد، محمد بن محمد النعمان، المسائل السورية، تحقيق صائب عبد الحميد، دار المفيد للطباعة، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

٢٠. المفيد، محمد بن محمد النعمان، المسائل العكبرية، تحقيق، علي أكبر الإلهي الخراساني، دار المفيد للطباعة، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

٢١. المفيد، محمد بن محمد النعمان، تحقيق، محمد القاضي، دار المفيد للطباعة، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

٢٢. المفيد، محمد بن محمد النعمان، جوابات أهل الموصل في العدد والرؤية، تحقيق، مهدي نجف، دار المفيد للطباعة، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

٢٣. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الأمالي، تحقيق، حسين أستاذ ولي وعلي أكبر غفاري، دار المفيد للطباعة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

٢٤. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، مسألة في الإرادة، تقديم محمد رضا الحسيني الجلالي، دار المفيد للطباعة،

بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

٢٥.النشار، علي سامي، المنطق الصوري، المكتبة التجارية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٥٠م.

مجلة تراث سامراء
العدد: السادس
السنة: الثالثة
١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م